

أصوات البيان

@ 25 @ .

وقد أطال السيوطي في المزهر الكلام في هذه المسألة ، نقلًا عن ابن فارس الشديقي . .  
وعن العسكري عن الأولياء في ذلك أقوال ، فقيل إسماعيل ، وقيل : مرار بن مرة ، وهما من  
أهل الأنبار ، وفي ذلك يقول الشاعر : وعن العسكري عن الأولياء في ذلك أقوال ، فقيل  
إسماعيل ، وقيل : مرار بن مرة ، وهما من أهل الأنبار ، وفي ذلك يقول الشاعر : % ( كتبت  
أبا جاد وخطى مرام % وسورة سربالي ولست بـ كتاب ) % .  
وقيل : أول من وضعه أبجد ، وهو زوجي ، وكلمن ، وصفص ، وقرشت ، وكانوا ملوكاً فسمى  
الهجاء بأسمائهم . .

وذكر عن الحافظ أبي طاهر السلفي بسنده عن الشعبي قال : أول من كتب بالعربية حرب بن أمية بن عبد شمس ، تعلّم من أهل الحيرة ، وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار . . .  
وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف : حدثنا عبد الله بن محمد الزهري حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبي قال : سألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : تعلمونا من أهل الحيرة ، وسألنا أهل الحيرة : من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل الأنبار ، ثم قال ابن فارس : والذي نقوله إن : الخط توقيفي ، وذلك لطاهر قوله تعالى : { الْأَذْرِي عَتَّمَ بِالْقَاتَمَ \* عَتَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْتَمْ } . . .  
وقوله : { نَوَّالْقَاتَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ } . . .  
وإذا كان هذا فليس بعيد ، أن يوقف الله آدم أو غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتابة ، فاما أن يكون شيئاً مخترعاً اخترعه من تلقاء نفسه ، فهذا شيء لا نعلم صحته إلا من خبر صحيح . . .

قال السيوطي : قلت يؤيد ما قاله من التوقيف ، ما أخرجه ابن شقة من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ( أول كتاب أنزله الله من السماء أبا جاد ) . . . وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر ، أن الذّبّي صلى الله عليه وسلم قال : ( أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام ) . . . أه . . . وقد أطال النقول في ذلك مما يرجع إلى الأول ، وليس فيه نقل صحيح يقطع به . . . وقد أوردنا هذه النبذة بخصوص كلام ابن فارس ، من أن تعلم الكتابة أمر توقيفي ، وما استدل به السيوطي من أول كتاب أنزله الله من السماء ، فإن في القرآن ما يشهد لإمكان ذلك ، وهو أن الله تعالى أنزل الصحف لموسى مكتوبة . . .

وفي الحديث ( إن أَنَّ كَتَبَ الْأَلْوَاحَ لِمُوسَى بِيَدِهِ ، وَغَرَسَ جَنَّةً عَدَنَ بِيَدِهِ ) . . .  
وإذا كان موسى تلقى الواحًا مكتوبة ، فلا بد أن تكون الكتابة معلومة له قبل إزالها ،  
وإلاً - لما عرفها . . .

أما المشهور في الأحرف التي نكتب بها الآن ، فكما قال السيوطي في المزهر ، ونقله عنه  
صاحب المطالع المصرية ما نصه : . .

المشهور عند أهل العلم ما رواه ابن الكلبي عن عوانة ، قال : أول من كتب بخطنا هذا .  
وهو الجزم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعاشر بن حدرة . كما في القاموس . وهم من  
عرب طيء تعلموه من كتاب الوحي لسيدنا هود عليه السلام ، ثم علّموه أهل الأنبار ، ومنهم  
انتشرت الكتابة في العراق والحبيرة وغيرها ، فتعلمتها بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد  
الملك صاحب دومة الجندي ، وكانت له صحبة بحرب بن أمية فتعلم حرب منه ، ثم سافر معه بشر  
إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب اخت أبي سفيان . فتعلم منه جماعة من أهل مكة . . .  
فبهذا كثراً من يكتب بمكة من قريش قبيل الإسلام . . .

ولذا قال رجل كندي من أهل دومة الجندي ، يمن على قريش بذلك : ولذا قال رجل كندي من  
أهل دومة الجندي ، يمن على قريش بذلك : % ( لا تجحدوا نعماء بشر عليكم % فقد كان مَيمون  
النبيبة أزهرا ) % ( أتاكتم بخط الجزم حتى حفظتموا % من المال ما قد كان شئ مبعثرا )  
% ( وأتقنتموا ما كان بالمال مهملا % وطأتمنتموا ما كان منه مبقرأ ) % ( فأحريتم  
الأقلام عوداً وبدأة % وضاهيتم كتاب كسرى وقيصر ) % ( وأغنيتم عن مسند إلى حميرا %  
وما زبرت في الصحف أقلام حميرا ) % .

قال : وكذلك ذكر النووي في شرح مسلم نقل عن الفراء ، أنه قال : إنما كتبوا الربا في  
المصحف بالواو ، لأن أهل الحجاز تعلموا الخط من أهل الحبيرة ، ولغتهم الربوا ، فعلمونهم  
صورة الخط على لغتهم . ١٥ .